

# أخلاق القرآن

## صلة الأرحام

للدكتور عبد الوهاب عزام

(خاتمة)

أمر القرآن الكريم بالرحمة العامة والإحسان الشامل - الرحمة التي تنال القريب والبعيد والإنسان والحيوان ، والإحسان الذي يعم الناس جميعاً ويشمل كل فعل وكل قول ... ثم خص ضرباً من الناس فوكد الأمر بالإحسان إليهم ، وكرر الوصية بالبر بهم ، ومن هؤلاء ضمايف الناس من الفقراء واليتامى إذ كانوا أحوج إلى اللطف ، وأجدر بالبر ، وأولى بالإحسان .

ومن وكد للقرآن الأمر بريم والإحسان إليهم ، ذوو القرابة . لأن القريب أحرف بقرابه وأدنى إليه ، ولأن الإحسان العام يبدأ بالقرابة ثم يتسع فيعم ، ولأن مودة القرابة تمكن الأواصر بينهم وتضيح الهبة فيهم ، وتقربهم إلى التعاون . ومن هذه المودة في القربى تستحكم روابض الأوسر ، ومن الأوسر تتألف الأمة متينة الأساس عكمة البناء . فودة القربى دُرية على المودة العامة ، وتحميد للإحسان الشامل . وللقطيعة بين الأقرباء فساد وإن صنر كبير ، وشتر وإن قل مستطير ، وعة في النواة تبين في للشجرة ، وخلل في الأسرة يظهر في الأمة

فذلك وكد كتاب الله الأمر بمودة ذوى القرابة وصلة الأرحام ولا سيما الوالدين

عظم للقرآن صلة الأرحام إذ قرن تقواها بتقوى الله تعالى فقال : « واتقوا الله القى تساملون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً » . وأمر بتوفية للقرابة حقها إذ قال : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » . وقرن قطع الأرحام بالإفساد في الأرض إذ قال : « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم »

وقد جاء في حديث الرسول صلوات الله عليه وسلامه أن الله

خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه نالت الرحم : « هذا مقام المائذ بك من القطيعة . قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يا رب . قال : فهو لك » وقال رجل للرسول : « أخبرتني بعمل يدخلني الجنة » فقال : « تبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم » وفي الحديث أيضاً : « لا يدخل الجنة قاطع »

ذلك أمر للقرآن والسنة بصلة الأرحام عامة وللنهي عن قطعها . وأما بر الوالدين خاصة فقد أعظم للقرآن أمره ، وكرر الأمر به في آيات كثيرة . وحسبك أن للقرآن قرن الإحسان إلى الوالدين بتوحيد الله ، وشكر الله بشكرهما في آيات قال : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » وقال : « قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » وقال : « وقضى ربك ألا تسبوا إلا آباءه وبالوالدين إحساناً ، إما يلتن عندك لكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح القلب من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً . »

بل أمر للقرآن الكريم أن يحسن الولد السلم إلى أبويه غير الملحين وإن دعوا إلى الكفر واجتهدا في زده عن الإسلام . قال : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في طامين أن اشكر لي ولوالديك . إلى المصير . وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبشكم بما كنتم تعملون »

وجاء في الحديث أن رجلاً سأل رسول الله أي العمل أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : الصلاة على وقتها . قال ثم أي ؟ قال : بر الوالدين . قال ثم أي ؟ قال الجهاد في سبيل الله . وروى عبد الله بن عمرو « أن رجلاً قال للنبي : أجاهد . قال : ألك أبوان ؟ قال نعم . قال : ففيهما فجاهد . » وقد ذكر رسول الله الكبار فقال : « الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين . »

وأما الإحسان إلى الأولاد فه من شفقة الوالدين ما يفتى عن الترغيب والإيضاء ؛ ولكن يقع في البشر شلوذ يصيب الولد بقسوة الوالد . وقد علم للقرآن الناس البر بالأولاد ولا سيما

الفرة ، وعلماً من هذه الجهالات ، وهدى من هذه الضلالات ،  
ولتكون لهم بمد الشقاء سعادة ، ومد للشدة رخاء ، ومد للمس  
يسراً .

ألا إن كتاب الله الكريم لا يدعو إلى أخلاق الصوامع كما  
يبت لكم ، ولكن يدعو إلى أخلاق تسمد للناس في مدارك  
الحياة ، وترشدهم في قضاها ، وتوفى بهم على النجاة التي أرادها  
الله خلقه ، وهدى لها عباده ، وبث من أجلها رسله . الأخلاق  
التي يجباها موق الشقاء لا التي يموت بها الأحياء . وإن فيها  
لسعادة للفرد والجماعة وسعادة للناس كافة ، وإن فيها لنجاة للعالم  
من كوارثه ، وخلصه من مراكبه ، وإعناهي السلام في نفس  
الفرد ، وفي جماعة الأسرة ، وفي نظام الأمة ، وفي مجتمع البشر .  
وهل هي إلا تخليص للنفس من ضلالها ، وتطهيرها من أراجاسها ،  
وإراؤها من أهوائها ، ثم حكما بمد الله الذي يبصر بالواجب  
كما يستمر بالحن ، ويدعو إلى العطاء كما يدعو إلى الأخذ ، وينزل  
للناس على حكم الإنصاف المؤلف للقلوب ، والألفة المينة على  
الخطوب ، والتعاون التي يذلل للصاب ، ويُبلِّغ للقاصد ،  
وينبل المطالب ، ثم إقامة الجماعة في نظام جامع من الإنصاف  
والألفة والمودة والتعاون يردّ عداوتهم محبة ، وحرهم سلاماً ،  
وظلمهم عدلاً ، وجشعهم قناعة ، ويجمع للقلوب . والمقول  
والأيدي على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

إلى هذه الأخلاق يدعو القرآن ، وإلى هذه المقاصد تقصد  
أخلاق القرآن . فنل بأن يهتدى للمسلمون بها تهدي الأم بهم ؟  
ومن لى أن يلجأ للمسلمون إليها ليكونوا لها حجة قاعة وإليها  
دعوة سادقة ، ويذكروا أنهم أمة واحدة يهديها كتاب واحد ،  
وأن أخلاق القرآن هي الوشائج التي يجمعهم والسنن التي تنظمهم ،  
والأسطر التي تؤولف بين كلماتهم ؛ ثم يحدروا أن يذهب نظامهم  
بداءً ، واجتماعهم اضطراباً ، بما فرطوا فيها أورثوا من هذه الأخلاق  
التقوية ، وهذه السنن الصالحة ، وهذه القوانين الجامعة

يقول الله تعالى : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » .  
ويقول : « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين .  
ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » . صدق الله العظيم .

عبد الرحاب هزائم

البنات فعمم دماءهن وجعل لهن حقاً في الميراث ، ورفع مكانة  
للرأة وجعل لها مثل ما عليها من الحقوق والواجبات  
وفي رسول الله أسوة حسنة للوالد الشفيق والأب البار .  
قهل رسول الله الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي  
جالساً ، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً .  
فنظر إليه رسول الله ثم قال : من لا يرحم لا يرحم . وقال أهرابي  
للنبي : تقبلون الصبيان ؟ فما تقبلهم . فقال : ه أو أمك لك أن  
زرع الله الرحمة من قلبك ؟

هكذا أشاد الإسلام بحق القرابة وأواصر الأسرة وكد  
رابطها وجعل لها مسحة من التقديس ، لأن للناس لا يتحابون  
ويتوادون ويتعاونون إلا أن تبدأ هذه المحبة وهذا التعاون من  
الأسرة ، ثم تتسع عاطفة الخير فتم القريب والبعيد ، وتفيض  
على الأمة كلها ثم تنال للناس جميعاً

وإننا لنرى اليوم أواصر الأرحام تنقطع ، وعمرى القرابة  
تنفصم ، وبناء الأسرة بين بما يمدنا من قرآنا وديننا وتاريخنا  
وسنتنا . شغل رب الأسرة عن أسرته ، وولدت بالأولاد الفتنة ،  
وظن الأحداث أن الحرية أن ينهكوا حرمت الأسرة ، وأن  
الجدّة أن يثوروا على سلطان الوالدين

ألا إن على المصلحين أن يطبوا لهذا الداء ، وأن يبدلوا  
ما يملكون من فكر وعمل في تقوية أواصر القرابة وإحكام  
بناء الأسرة على قواعد من الحب والإيثار ، وإكبار الكبير  
والمطف على الصغير ، والتعاون على الخير والحق

فأنت

قصصت عليكم طرفاً من أخلاق القرآن ، وحدثكم ببينة  
من آدابه وشذرة من وساياه ، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له  
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

تكلمت عن العدل ، والوفاء بالهد ، وعن الإحسان والصدق  
والصبر والعفو ولم أرد أن أستقصى أخلاق القرآن وآدابه فهي شريفة  
الإسلام الأخلاقية كلها ، وهي تهدي إلى ما بعدها ، وترشد إلى  
ما وراها . والقرآن الكريم كثر من الأخلاق لا يفنى ، ومنبع  
للفضائل لا يتضب . فليت المسلمين يرجون إليه ليتبينوا سنته ،  
ويتخلقوا بأخلاقه ، ويأدبوا بآدابه ، لتكون لهم عصمة في هذا  
العصر اللغتون ، وقبساً وعزاً من هذا القل ، واجتماعاً من هذه